القارئ: أعوذُ باللهِ من الشَّيطان الرَّجيمِ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة:٨٣-٨٦].

الشيخ: أحسنت، لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

يقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: واذكروا {إِذْ أَخَذْنَا}، وهذا الخطاب يُحتمَل أن يكون للمؤمنين كالخطاب الذي قبلَه {أَفَتَطْمَعُونَ} [البقرة:٧٥] ويحتملُ أن يكون الخطابُ أيضًا لليهود على نسقِ ما تقدَّم، والله أعلم.

{وَإِذْ أَخَذْنَا} واذكروا {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ} الميثاق: هو العهدُ المؤكَّدُ، أخذ اللهُ الميثاقَ على بني إسرائيل على هذه الأمور المذكورة، {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} وكلُّ هذه الواجبات التي أعظمُها وأولُها: عبادةُ اللهِ وحده لا شريك له، {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} وهذا أصلُ دينِ الرسل: التوحيدُ، فهذا الذي بعثَ اللهُ به رسله من نوحٍ -عليه السلام- إلى مَن بعده، وهكذا بنو إسرائيل أمرَتْهُم أنبياؤُهم بذلك وأخذ اللهُ الميثاقَ عليهم في ذلك {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}.

فشرائعُ الأنبياءِ مُتفقَّة في أصلِها -الذي هو التوحيد- وفي الشرائعِ المشتملةِ على الإحسان من برِّ الوالدين وصلةِ الأرحام والإحسانِ إلى اليتامى والمساكين، كذلك مما أوجبَهُ اللهُ على الأنبياء: الصلاةُ والزكاةُ، هذه شرائعُ جاءتْ بها شرائعُ الأنبياء كالصيام {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة:١٨٣] وهنا قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} يعني: أن هذا مما أخذَ اللهُ الميثاقَ فيه على بني إسرائيل، {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.

قال الله: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} وفي هذا إما أن يكونَ هذا ما يدلُّ على أنَّ الخطابَ المتقدِّمَ لليهود وعُبِّرَ عنهم بالاسمِ الظاهرِ {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ}، أو يكون هذا التفاتٌ {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} رجعَ الخطابُ لليهود، لبني إسرائيل، رجعَ الخطابُ لبني إسرائيل، {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}.

ثم استمرَّ الخطابُ أيضًا في الآيات التالية على نَسَقِ ما سَبَقَ {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} وإذا كان الخطابُ الأول لليهود ففيه التفاتٌ من الغَيبة إلى الخطاب، {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}، إلى قوله: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} إلى قوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ} في هذه الآيات دليلٌ على أنَّ اللهَ أخذَ الميثاقَ على بني إسرائيل ألَّا يظلمَ بعضُهم بعضًا، بإخراجهم من ديارهم أو سَفْكِ دمائهم، {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} فالله حرَّمَ في جميعِ الشرائع سَفْكَ الدَّمِ بغيرِ حقٍّ {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة:٣٢] فتحريمُ الدِّماء هو من الشَّرائع الثابتة في كلِّ ما جاءتْ به الأنبياء.

{وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ} فالظلم حرامٌ، حرّمَ اللهُ الظلمَ على كلِّ الأمم في كلِّ الشرائع، الظلمُ في الدماء في الأموال، {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} يعني: أقرُّوا بهذا العهد والتزموا به، ولكنَّهم نقضوه {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ} وذكر المفسِّرون: إن هذا كان من اليهود الذين كانوا حولَ المدينة، لأنَّ بعضَهم..، الطوائفُ الثلاث: بني النظير وبني قُريظة وبنو قَينُقاع تحالفُوا مع الأوس والخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حروبٌ، فكان كلُّ فريقٍ يناصرُ حلفاءه، فينتجُ عن ذلك أنَّ اليهودَ يقتلُ بعضُهم بعضًا، فكلٌّ يقتلُ مَن كان مع الطائفة الأخرى، ولكنَّهم إذا وقع بعضُهم في الأسرِ فَادَوهُم، وكان هذا مما أحسنُوا فيه، ولكنَّهم أساؤُوا في قتلِ مَن يقتلونه من حلفاءِ خصومِهم، ولهذا قال: {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} إذن لم يلتزموا بالكفِّ عن دماء أهلِ ملَّتهم، {تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فالتزموا بمفاداة مَن أُسِرَ منهم، ولكنَّهم لم يلتزموا بما فُرِضَ عليهم من عدم سَفكِ الدِّماء والإخراجِ من الديار، {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} فمَن تعدَّى حدودَ الله وأضاعَ فرائضَ الله فقد آثرَ الدنيا على الآخرة، واشترى الدُّنيا بالآخرة، {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} اقرأ يا شيخ تركي على هذه شرح الشيخ عبد الرحمن

القارئ: ابشر يا شيخ

الشيخ: فيه تقرير، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله

القارئ: قال رحمه الله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} هذا من قسوتهم أنَّ كلَّ أمرٍ أُمِروا به، استعصَوا؛ فلا يقبلونهُ إلا بالأيمان الغليظة، والعهود الموثقة {لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ} هذا أمرٌ بعبادة الله وحده، ونهيٌ عن الشِّرك به، وهذا أصلُ الدِّين، فلا تُقْبَلُ الأعمالُ كلُّها إنْ لم يكنْ هذا أساسُها، فهذا حقُّ الله –تعالى– على عباده، ثمَّ قالَ: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

الشيخ: هذه الآيةُ –في شأنِ بني إسرائيل– نظيرُ آية النساء: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء:٣٦] تمامًا.

القارئ: قال: أحسِنُوا بالوالدَين إحسانًا، وهذا يعمُّ كلَّ إحسانٍ قوليٍّ وفعليٍّ مما هو إحسانٌ إليهم، وفيه النهيُ عن الإساءةِ إلى الوالدين، أو عدمِ الإحسانِ والإساءة، لأنَّ الواجبَ الإحسانُ، والأمرُ بالشيءِ نهيٌ عن ضدِّه.

وللإحسانِ ضدَّان: الإساءةُ، وهي أعظمُ جرمًا، وتركُ الإحسانِ بدونِ إساءة، وهذا مُحرَّمٌ، لكن لا يجبُ أنْ يلحقَ بالأول، وكذا يُقال في صلةِ الأقاربِ واليتامى، والمساكين، وتفاصيلُ الإحسانِ لا تنحصرُ بالعَدِّ، بل تكونُ بالحَدِّ، كما تقدَّمَ.

ثمَّ أمرَ بالإحسانِ إلى الناسِ عمومًا فقال: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} ومن القولِ الحسنِ أمرُهم بالمعروف، ونهيُهم عن المنكر، وتعليمُهم العلمَ، وبذلُ السَّلامِ، والبَشَاشَةُ وغيرُ ذلك من كلِّ كلامٍ طيِّب.

ولما كان الإنسانُ لا يسعُ الناسَ بمالِه، أُمِرَ بأمرٍ يقدرُ به على الإحسانِ إلى كلِّ مخلوقٍ، وهو الإحسانُ بالقول،

الشيخ: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} نعم، لا إله إلا الله

القارئ: فيكونُ في ضمنِ ذلك النهيُ عن الكلامِ القبيحِ للناسِ حتَّى للكفارِ، ولهذا قالَ تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت:٤٦]

ومن أدبِ الإنسانِ الذي أدَّبَ اللهُ به عبادَه، أن يكونَ الإنسانُ نزيهًا في أقوالِه وأفعالِه، غيرَ فاحشٍ ولا بذيءٍ، ولا شاتمٍ، ولا مخاصمٍ، بل يكونُ حَسَنَ الخلقِ، واسعَ الحِلْمِ،

الشيخ: الله أكبر، يمنُّ الله على من يشاء، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، فمَن يفعل هذه الأمور جِبِلَّةً كان هذا فضيلةً له ويُحمَدُ عليه، وإذا اقترنتْ بذلك النيةُ كان خيرًا له في الدنيا والآخرة، ومَن لم تكن له جِبِلَّةٌ لكنه يجاهدُ نفسَه على ذلك؛ احتسابًا لثواب الله، وطاعةً لله، كان ذلك من أسبابِ نَيْلِ الأجورِ العظيمة، فالأخلاقُ الفاضلة تكون في بعض الناس جِبِلَّةً خِلقةً طبيعةً ما يتكلَّف، وتكون في بعضِ الناس المعالجةُ ومُجاهدةُ، وهذا يعرفُهُ كلُّ أحد من نفسه ومن غيره.

القارئ: قال: **بل يكونُ حَسَنَ الخلقِ، واسعَ الحِلْمِ، مجاملًا لكلِّ أحدٍ، صبورًا على ما ينالُهُ من أذى الخلقِ، امتثالًا لأمرِ اللهِ، ورجاءً لثوابه.**

الشيخ: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:١٣٤]

القارئ: **ثمَّ أمرَهُم بإقامةِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ؛ لِمَا تقدَّمَ أنَّ الصلاةَ مُتضمِّنةٌ للإخلاصِ للمعبودِ، والزكاةُ متضمنةٌ للإحسانِ إلى العبيد.**

{ثُمَّ} بعدَ هذا الأمرِ لكم بهذه الأوامرِ الحسنةِ التي إذا نظرَ إليها البصيرُ العاقلُ، عرفَ أنَّ من إحسانِ اللهِ على عباده أنْ أمرَهم بها، وتفضَّلَ بها عليهم وأَخَذَ المواثيقَ عليكم {تَوَلَّيْتُمْ} على وجه الإعراضِ، لأنَّ المتولِّي قدْ يتولَّى، ولهُ نيةُ رجوعٍ إلى ما تولَّى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبةٌ ولا رجوعٌ في هذه الأوامرِ،

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: **فنعوذُ باللهِ من الخذلانِ.**

وقوله: {إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ} هذا استثناءٌ؛ لِئَلَّا يُوهِمَ أنَّهم تولَّوا كلُّهم، فأخبرَ أنَّ قليلًا منهم، عصمَهم اللهُ وثبَّتَهُم.

الشيخ: نعم كمل

القارئ: **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ...} وهذا الفعلُ المذكورُ في هذه الآية، فعلُ للذين كانوا في زمنِ الوحي بالمدينة، وذلك أنَّ الأوسَ والخزرجَ –وهم الأنصارُ– كانوا قبلَ مَبعثِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– مشركينَ، وكانوا يُقتتلونَ على عادةِ الجاهليةِ، فترلَتْ عليهم الفرقُ الثلاثُ من فرقِ اليهودِ، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قَيْنُقَاع، فكلُّ فرقةٍ منهم حالفَتْ فرقةً من أهلِ المدينة.**

فكانوا إذا اقتتلُوا أعانَ اليهوديُّ حليفَه على مقاتليه الذين تُعينهم الفرقةُ الأخرى من اليهود، فيقتلُ اليهوديُّ اليهوديَّ، ويُخرجُهُ من ديارِه إذا حصلَ جلاءٌ ونهبٌ، ثمَّ إذا وضعتِ الحربُ أوزارَها، وكان قد حصلَ أُسارى بين الطائفتَيْن فدى بعضُهم بعضًا.

والأمورُ الثلاثةُ كلُّها قد فُرِضَتْ عليهم، ففُرِضَ عليهم أنْ لا يسفكَ بعضُهم دمَ بعضٍ، ولا يُخرجَ بعضُهم بعضًا، وإذا وجدوا أسيرًا منهم، وجبَ عليهم فداؤُه، فعملُوا بالأخيرِ وتركوا الأوليينَ، فأنكرَ اللهُ عليهم ذلك فقال: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ} وهو فداءُ الأسير {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} وهو القتلُ والإخراجُ.

وفيها أكبرُ دليلٍ على أنَّ الإيمانَ يقتضي فعلَ الأوامرِ واجتنابَ النَّواهي، وأنَّ المأموراتِ من الإيمان، قالَ تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وقد وقعَ ذلك فأخزاهُم اللهُ، وسلَّطَ رسولَه عليهم، فقتلَ مَن قتلَ، وسبى مَنْ سبى منهم، وأجلَى مَن أجلَى.

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} أي: أعظمه {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

ثم أخبرَ –تعالى– عن السببِ الذي أوجبَ لهم الكفرَ ببعضِ الكتاب، والإيمانَ ببعضه فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} توهَّموا أنهم إنْ لم يُعينوا حلفاءَهم حصلَ لهم عارٌ، فاختارُوا النارَ على العارِ، فلهذا قال: {فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} بل هو باقٍ على شدَّتِه، ولا يحصلُ لهم راحةٌ بوقتٍ من الأوقات،

الشيخ: آمنَّا بالله، نعوذُ بالله من عذاب الله

القارئ: {وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} أي: يُدفَعُ عنهم مكروهٌ.